الأربعاء 8/8/2012 21/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

اتق الله حيثما كنت

عن أبي ذرٍّ جُندُبِ بنِ جُنَادَةَ، وأبي عبدِ الرَّحمنِ مُعاذِ بنِ جبلٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُما، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: ((**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)) [رواه التِّرمذيّ، وقالَ حديثٌ حَسَنٌ. وفي بعضِ النُّسَخِ حسنٌ صحيحٌ].

حدثنا الله تعالى في القرآن الكريم الذي هو خير كتاب نزل من السماء، مع خير ملائكة، على خير خلق الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مائتين وثمانين مرة عن التقوى

لو قمنا بحساب رياضي لخرج معنا أنه كل صحيفتين يذكرك الله بموضوع التقوى.

أقصر تعريف للتقوى هو: **فعل المأمورات وترك المنهيات**.

ما أمرك به الله فافعله وما نهاك عنه فاتركه.

إذا كان الدين خمسة أشياء: عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصية، وقضاء، وسياسة، فالتقوى مع هؤلاء الخمسة.

يعتقد بعض الناس أن التقوى هي الصلاة والصوم والحج والزكاة، لكن الحقيقة أن التقوى هي مع أحكامِ كُلٍّ منها.

سمى الله تعالى سورة باسم سورة الطلاق لكن لا يوجد سورة اسمها سورة الزواج، فيدل ذلك أن موضوع الطلاق أمر مهم.

سورة الطلاق مؤلفة من اثنتي عشرة آية، وهي عبارة عن ورقة واحدة لوجهين، وقد ذكر الله التقوى فيها خمس مرات؛ لأن المرء إذا لم ينضبط بأوامر الله في الطلاق لتحول الطلاق من شد أواصر الأسر إلى سبب لتقطيع أواصر المجتمع.

أحياناً يضيق الأمر بالزوجين حتى يصلا إلى مرحلة تشعرهما أن استمرارية الزواج مستحيلة، فالحل لمثل ذلك هو الطلاق؛ فتبقى الأسرتان بذلك مترابطتان، لكن هذا يحتاج إلى تقوى وانضباط بالشرع في ممارسة الطلاق، فإذا لم تنضبط لتحول الطلاق إلى سبب بالنزاعات بين الأسر، وربما أودى إلى القتال.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، [الطلاق: ١].

كلنا على علم بأناسٍ تطلقوا، لكن هل يعلم أحدنا أحداً طلق وتعرف على أوامر الله تعالى في الطلاق؟ ترى المسلمين أنفسهم لا يعلمون أحكام الله في الطلاق.

الطلاق الشرعي له أربعة شروط:

1. **أن يكون لسبب معتبر شرعاً**: بأن يحكم اثنان من الأسرتين لهم اتصال بالعقد والدِّين بأن فلاناً لا يمكن أن يستمر في الحياة مع زوجته فيحكمان بأن فلاناً يجب أن يطلق فلانة.
2. **أن لا يطلقها في الدورة الشهرية**: لأن الله تعالى يقول: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، أي: والمرأة مستقبلة العدة.
3. **أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه**: فإذا كان جامعها في هذا الطهر فيمنع له أن يطلقها وعليه أن ينتظر حتى ينتهي الطهر وتنتهي الحيضة وبعد ذلك يطلقها.
4. **أن يطلقها طلقة واحدة**: ولا يجوز له أن يطلقها ثلاثة، ويكون بذلك مذنباً وعاصياً.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾.

على المرأة إذا طلقت عِدَّة وهذه العِدَّة:

1- ثلاثة حيضات، أو ثلاثة شهور إذا لم يكن عندها حيض، أو أن تضع حملها إذا كانت حاملاً.

2- تقضيها في بيت الزوجية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ فلا يجوز لك إذا طَلَّقت زوجتك أن تقول لها: اذهبي إلى بيت أهلك.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ فلا يجوز للمرأة إذا طلقت أن تجمع أغراضها وتذهب إلى بيت أهلها، ولا يجوز لأبيها أن يركبها في السيارة ويأخذها، ولا لأمها أن تقول لها: اجمعي أغراضك وتعالي.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ إلا أن تقع فاحشة كما ذكر أحد التفاسير.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

فمن منا يعرف أحداً طلق زوجته وفق هذه الآية فعلى الرغم من أننا مسلمين لكننا لا نستجيب لأوامر الله.

ذكر معروف الكرخي، عن بكر بن خنيس رحمهما الله قال: (**كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي؟!**) ثم قال معروف الكرخي: (**إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك**).

أنت لا تعرف التقوى فكيف تتقيه؟

لا تعرف أحكام الشرع في الطلاق والزواج فكيف تتيقيه؟

لا تعرف أحكام الشرع في الجهاد والقتال، ولا أحكام الشرع في القتال والجهاد فكيف تتقيه؟

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ)).

ليست التقوى في المسجد فقط؛ لأن أحدنا ربما يكون في المسجد جيد جداً، لكنه في بيته شرير وسيء جداً.

لا عجب من رجل مسلم في رمضان لا يصوم ويؤذي زوجته الصائمة ويزعجها في رمضان؛ لأنها تصوم هل هذا مسلم أم نصراني أم يهودي؟! ثم يأتي بعد ذلك ليدعو فيقول: اللهم انصر الإسلام والمسلمين، نحن في حاجة لمراجعة أنفسنا حتى نمشي مثلما أراد الله ورسوله.

عن أبي إسحاق السبيعي، عن امرأته أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها فدخلت معها أم ولد زيد بن أرقم الأنصاري وامرأة أخرى، فقالت: أم ولد زيد بن أرقم: يا أم المؤمنين، إني بعت غلاماً

من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم نسيئة، وإني ابتعته بستمائة درهم نقداً، فقالت لها عائشة: بئسما اشتريت، وبئسما شريت؛ إن جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بطل إلا أن يتوب. [الدرقطني].

هذه حيلة ربوية: فأقوم ببيعك مثلاً ساعة بستمائة بالتقسيط، ثم أشتريها منك بثمانمائة نقداً فكأنني أقرضت 600 وتعيدهم إلي 800 فهذا.

اتق الله حيثما كنت سواء في المسجد، أو البيت أو السوق...

كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل فقال: (**أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرَها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل**)، [أبو نعيم في الحلية]

قال أبو يزيد الفيض: **سألت موسى بن أعين عن قول الله:** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]، قال: (**تنزهوا عن أشياء من الحلال، مخافة أن يقعوا في الحرام، فسماهم الله متقين**). [ابن أبي الدنيا في الورع].

تشعر بأن الشاب المسلم والمرأة المسلمة يَحْرِمُ نفسه من أمور يتمنى أن يأخذها، لكنه يمنع نفسه منها مخافة أن لا ترضي الله عز وجل، فالمسلم إنسان قيده الإسلام، يقول لنفسه: هذا حرام هذا لا يجوز.

قال أحد الشباب: كنت أذهب إلى المسابح، ولي جلسات مع أصحابي في بعض المقاصف والملاهي والمطاعم، فكيف سأحرم نفسي من هذه الأشياء؟ قلت له: هذا هو الدين، فلا يجتمع المرح في الدنيا مع الذهاب لجنة عرضها السموات والأرض.

ما حكم الجلوس في مقهى ليتحدث مع صديقه؟

أصل الجلوس مع الصديق أنه جائز، لكن جو المقهى ليس مريحاً للمتقين، فتجده لا يذهب ويمكن أن تراه جالساً في بيته متضايقاً إذا ذهب إلى أماكن فيها حرام.

لا يولد أحدنا ومعه التقوى، فالأمر يحتاج إلى كثرة ذكر لله حتى يصير حب الله غالباً على قلبه فتتنازل عن محبوباتك الصغرى من أجل حبيبك الأكبر.

تسأل المسلمين هل تحبون الله؟ فيجيبون مباشرة طبعاً نحب الله، ولكن ترى أحدهم إذا أحب فتاة وناديت باسمها ثلاث مرات يبكي.

أتاني شاب يحب فتاة وأهله لا يريدونها، فأخذ يبكي مثل الأطفال لشدة تأثره.

حب الله يجعلك لا تترك أوامره، فلا تفطر في رمضان، ولا تؤذي الناس، ولا تترك الصلاة.

حتى تصير أكثر ذكراً لله وحباً له عليك بمجالس العلم والصحبة.

قَالَ الْعُتْبِيُّ: (لَقِيَ رَجُلٌ أَعْرَابِيَّةً فَأَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا فَأَبَتْ وَقَالَتْ: أَيْ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَمَا لَكَ زَاجِرٌ مَنْ كَرَمٍ؟ أَمَا لَكَ نَاهٍ مِنْ دِينٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ إنه لَا يرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ، قَالَتْ: هَا بِأَبِي أَنْتَ، وَأَيْنَ مُكَوْكِبُهَا)، [البيهقي].

قال أَبُو جَعْفَرٍ السائح: (**كَانَ حبيب بن محمد رجلاً تاجراً يعير الدراهم، فمر ذات يوم بصبيان يلعبون، فَقَالَ بعضهم: قد جاء آكل الربا، فنكس رأسه، وقال: يا رب أفشيت سري إلى الصبيان، فرجع فلبس مدرعة من شعر وغل يده، ووضع ماله بين يديه، وجعل يقول: يا رب إني أشتري نفسي منك بهذا المال، فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة، فلم يُر إلا صائماً أو قائماً أو ذاكراً أو مصلياً، فمر ذات يوم بأولئك الصبيان الذين كانوا عيروه بأكل الربا، فلما نظروا إليه، قال بعضهم: اسكتوا فقد جاء حبيب العابد، فبكى**)، [تهذيب الكمال للمزي].

روي أنهم أتوا إلى عمر رضي الله عنه برجل قد سرق، فقال هذا السارق: أستحلفك بالله أن تعفو عني فإنها أول مرة، فقال عمر رضي الله عنه: كذبت ليست هي المرة الأولى؛ فأراد الرجل أن تثار الظنون حول عمر فقال له: أكنت تعلم الغيب؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا، ولكني علمت أن الله لا يفضح عبده من أول مرة، فقطعت يد الرجل، فتبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أستحلفك بالله أهي أول مرة؟ فقال: والله إنها هي الحادية والعشرون.

اعلموا لو أن رجلاً فعل خيراً في جوف صخرة لأظهره الله.

((وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا)).

إذا فعلت سيئة فلا تفعل خمسة أشياء:

1. **لا تصر**: تقول إن راتبي لا يكفي، وإذا لم آكل الحرام فلا أقدر أن أعيش، إنك بهذا القول تفسد عملك مع الله؛ لأن الله يقول: لا تفعل، وأنت تقول: بل سأفعل.

أحدهم مبتلى بحب النساء فلا تبرر لنفسك.

دخلت ابنة فرأت أباها يشاهد مواقع ساقطة جداً، فذهبت البنت لأمها وقالت لها، فاتصلت الزوجة بي فكلمتني فقمت بدوري بالكلامي معه فقال لي: أليس لكل منا عادة وأنا عادتي النساء.

اجعل عادتك في خير ولا تصر على معصية لا بكلام ولا بفعل.

2. **لا تسر بعصيتك**: أي لا تفرح فالله لا يحب الفرحين.
3. لا تجاهر بالمعصية.
4. لا تدعوا غيرك إلى المعصية، فتعمل بعمل إبليس.
5. لا تستصغر الذنب.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾، [هود: ١١٤].

((وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)).

معاشرة الناس بالأخلاق الحسنة جزء من التقوى، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أفردها من باب القول من عطف الخاص على العام للتأكيد.

عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: **أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَرَّتْ جَنَازَةٌ فَأُثْنِيَ خَيْرًا، فَقَالَ: عُمَرُ وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ خَيْرًا فَقَالَ وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! قَالَ قُلْتُ: كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ))، قُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: ((وَثَلَاثَةٌ))، قُلْتُ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: ((وَاثْنَانِ))، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنْ الْوَاحِدِ.**

[البخاري].

يثني الناس على الناس بالخير أو الشر من خلال معاملاتهم فكثرة صلاتك أو صومك لا ينفع ولا يضر؛ لأن هذا النفع قاصر، أما الأخلاق الحسنة نفعها متعد، عندما أحسن معاملة جاري فنفعه لي ولجاري.

كيف يخالق الناس بخلق حسن؟

هناك رابط في كل الأخلاق وهو الصحبة.

فمثلاً: إذا أردت أن تكون كريماً فخالط الكرماء، أما إن صاحبت البخلاء فستصبح بخيلاً.

صاحب ذوو الأخلاق العالية فتتعلم منهم مثلاً أدب الاستئذان، فعندما كنا صغاراً كنت أرى الأستاذ إذا قرع الباب على أحدهم وقف بطريقة معينة فتعلمت منه، وبعد حين وجدت هذه الطريقة الشرعية، فترى أحدهم يقرع الباب ويضع يده على العين الساحرة، فابتعد عن الباب وأدر ظهرك.

والحمد لله رب العالمين.